

## تكرار سياسات ما قبل الربيع العربي في صالح التيارات الدينية

الطروحات الدينية السطحية تكرس صراعا مصطنعا بين الدين والعلمانية



غياب الإيمان بالتعددية يوفر أرضية خصبة لنمو التيارات المتطرفة

وقال إسماعيل إن تهاافت طروحات التيارات الدينية واضح من وجهة نظر تاريخية، لأن الخلافة الإسلامية شهدت مراحل نهضة ومرحلة انتكاس، والمعروف أن الإسلام لم يحد شكلا للحكم، وليس أدل على ذلك من اختلاف مواقف الخلفاء الراشدين أنفسهم من أمور عديدة. ولا يقلل أن نحاول استعادة خلافة مثل الخلافة العباسية التي كانت غارقة في المذات والمطالب، يدعو أنها مراد الإسلام في الحكم، وضرب مثلا بأن الخليفة العباسي المتوكل كان يمتلك 12 ألف جارية، وعددا كبيرا من الخلفاء ماتوا صغارا بسبب الإدمان في المذات. وأشار إلى أن منهجه يركز على فكرة وجود إشكالية في المنهج والرؤية تخص التاريخ الإسلامي بشكل واضح، تتعلق بإصرار الكثير من المؤرخين على تقديم التاريخ العسكري والسياسي باعتباره موضوع العلم، أما التاريخ الاجتماعي والثقافي فيظل بعيدا عن تناول، ما مثل أزمة ملا زالت تلقي بظلالها على دارسى التاريخ حتى يومنا هذا.

وأكد ضرورة عدم الحكم ببراءة المادة التاريخية، لأن هناك أغراضا عديدة، فعلى سبيل المثال فإن الخليفة أبو جعفر المنصور، شجع علوم التدوين لأغراض دعائية للسلطة، والعباسيون قضاوا على كل مرويات تاريخية لا تخدم دولتهم.

وطرح رؤية جديدة مفادها، أن تشبيه جماعة الإخوان المسلمين بالخوارج فيه ظلم كبير للخوارج، "الخوارج في حقيقة الأمر لم يكونوا طاب سيطرة أو حكم، واقتصرت فكرة التكفير لديهم على الرعي الأول الذين شهدوا التحكيم بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، بل إنهم كانوا يعتمدون نظام الشورى في ما بينهم ويحزرون تحقيق العدل الاجتماعي، وهو ما لا يوجد لدى تيارات الإسلام السياسي الحالية".

ويعتبر أن الخوارج استحسنوا لقبهم "خوارج"، استنادا إلى الآية القرآنية "ربنا أخرجنا من القرية الظالم أهلها"، بمعنى خروجهم على الظلم، لكن الإخوان وجماعات الإرهاب تقبل بمساندة الظلم والاعتقال والخداع والكذب ونفاق الحكام طلبا للحكاسب ذاتية ضيقة، وبالطبع فإنهم ضد فكرة العدل الاجتماعي تماما.

## دين العلمانية

ويرى إسماعيل أن تسبب الدين "طرح رديء لأن الصراع بين الدين والعلمنة صراع مصطنع، فالعلمانية ليست كفرا، بل إن الإسلام هو دين العلمانية، والعلمانية التي كانت في دول أوروبا، باستثناء فرنسا، لم تكن كفرا بالدين، إنما إعلاء للعقل وتحقيقا للعدالة".

تحرير إحدى الصحف القومية في مصر إعداد دراسة عن فكر الرئيس أنور السادات، وكان قد تولي السلطة تولا، لكنه رفض وأصر على الرفض، رغم علمه بأن ذلك سوف يؤثر على فرصه في الترقى.

## الإخوان ضد الاستيعاب

يرى محمود إسماعيل، بخبرته في مجال الحركات السرية والمتطرفة، أن تنظيم الإخوان المسلمين غير قابل للاستيعاب في الوقت الحاضر أو المستقبل القريب، لأنه مراوغ ويمثل أكثر التنظيمات الدينية انتهازية وتلونا وكفرا بالوطن، وهو التنظيم الأم الذي انبثقت منه كافة التنظيمات الدينية العنيفة والدموية حتى لو ادعى غير ذلك. وراى أن واشنطن لعبت دورا مهما في دعم التنظيم للوصول إلى الحكم في مصر بعد ثورة 25 يناير 2011 لاستخدامه في تنفيذ سياسات تتفق مع كفر التنظيم بفكرة الوطن، ولا يمكن تنفيذ تلك السياسات مع نظم حاكمة مدنية محترمة. وتابع "حتى التنظيمات الدموية التي تدعى العدا للغرب وأنه أميركا، مثل داعش، لا تعمل بعيدا عن سيطرة ونفوذ أجهزة الاستخبارات الغربية، التي كثيرا ما تخترق التنظيمات والجماعات الإسلامية بقصد التأثير في سياسات الدول".

ولا يمكن تجاهل نبوءة إسماعيل الخاصة بعودة الإسلاميين نتيجة استنساخ سياسات ما قبل الربيع العربي، لأنه كان أحد قلائل الذين كتبوا نبوءتهم في اندلاع ثورات غضب في الشارع العربي قبل عامين من أحداث الربيع العربي.

ويقر في مقدمة كتابه "المهمشون في التاريخ المصري" "نحن في غنى عن رصد تدهور أوضاع المصريين أنيا، الأمر الذي فجر الغضب الشعبي الذي اتخذ صورا شتى، كالمظاهرات والإضرابات في كافة القطاعات، وقد تمثل رد الفعل في قيام حركات دينية متطرفة تعتمد العنف أسلوبا للمواجهة، نجحت السلطة في قمعها، ونظرا لإفلاس الأحزاب السياسية دون استثناء فإننا نرى أن ثورة في طريقها للانفلاق".

يمكن القول إن دوائر صنع القرار في مصر كان يمكنها تجنب الكثير مما جرى في يناير 2011، لو أخذت بتحذير الرجل الذي ظل على مدى خمسة عقود يطرح آراءه باعتباره مفكرا وباحنا مستقلا، لا ينتمي إلى أي تيار سياسي. ليس أدل على استقلالية إسماعيل من تلك الحكاية التي نقلها لنا كتاب سيرته المعنون، "جدل الأنا والآخر"، حيث حكى فيه أنه عندما حصل على الدكتوراه في التاريخ نهاية عام 1970 طلب منه رئيس

يعيد التكرار النمطي للسياسات السابقة التي ثارت عليها الجماهير، إنتاج البيئة الحاضنة لتمدد التيارات الدينية الطامحة للوصول إلى الحكم باعتبارها جماعات تستغل التهميش والسخط الاجتماعي. وفي لقائه مع "العرب" يحذر باحث التاريخ محمود إسماعيل من وأد الحريات ورفض التعددية الفكرية وموت السياسة، باعتبارها من العناصر التي لا تخدم صالح الأنظمة العربية الحاكمة، لافتا إلى أن عدم استيعاب النخب الحاكمة لدروس التاريخ يدفع الدول العربية لهوة السقوط في أيدي نظم دينية.

طور الإنهيار" و"الخلافة الإسلامية بين الإرجاف والإنصاف" و"الدولة الفاطمية دعوة وثورة".

ويركز إسماعيل في مؤلفاته على الربط بين التاريخ والحاضر مثل كتاب "الخطاب الأصولي المعاصر" و"الخلافة الإسلامية بين الفكر والتاريخ" و"جدل الأنا والآخر". أوضح إسماعيل في حوار مع "العرب"، أن المناخ العام في كثير من البلدان العربية ما زال مائلا لاستيعاب واحتضان متطرفين جدد.

وقال إنه حتى بعد ثورات الربيع العربي ما زالت الحريات في كثير من الدول التي شهدت ثورات منتقصة، والغريب أن هناك تكرار للسياسات نفسها التي سبق وأدت إلى غضب الجماهير، ثم ساهمت في استنساخ التيارات الدينية بالساحة والوصول إلى الحكم في بعض البلدان. وركز أن وأد الحريات ورفض التعددية الفكرية يسمحان بتمدد الجماعات السرية، وموت السياسة في غير صالح الأنظمة العربية الحاكمة، لافتا إلى أن عدم استيعاب النخب الحاكمة لدروس التاريخ يدفع الدول العربية إلى هوة السقوط في أيدي نظم دينية متطرفة، وراى أنه لا يمكن استمرار الأوضاع الخائفة للناس، خاصة على المستويين الاقتصادي والاجتماعي، لأن ذلك يعيد الطريق أمام الجماعات الدينية، ويجعلها من جذب أنصار جدد.

## مخاطر متباينة

شدد إسماعيل على أن التفاوت الطبقي الكبير والمستمر بعدما يعرف بثورات الربيع، مع عدم تحسن الأحوال الاقتصادية، بل ازديادها سوءا، يمثلان خطرا مائلا لا يجب الاستهانة به، لأن أوضاع التعليم والثقافة المتدهورة لا تسمحان لأي فكر متحرر أو مستنير بالتواجد.

ضرب المفكر المصري مثلا على تدهور أوضاع التعليم بقوله "أحد الدارسين لديه في قسم التاريخ ظل من أوائل فرقته لعدة سنوات، وحصل على تقدير ممتاز، رغم ضعفه الشديد في اللغة العربية لدرجة أنه لا يعرف الفارق بين الفاعل والمفعول"، محذرا من أن هناك فسادا كبيرا في كثير من الجامعات والمؤسسات العلمية. واستطرد إسماعيل مكررا أن تفاقم الأوضاع السلبية على المستويين الاقتصادي والاجتماعي يفضي حتما إلى تطرف لا مثيل له، "أحداث التاريخ تقول ذلك بوضوح، وعينا أن نتعلم منها".

مصطفى عبيد كاتب مصري

يمثل الوعي بالتاريخ ضرورة حتمية، كي يمسك خيوط الحاضر والمستقبل معا، ويتأمل ويتدبر ما حدث، ونسأل أنفسنا: كيف حدث، ولم؟ ثم نعيد رسم خطواتنا لتلافي التكرار. تلك فكرة يطرحها الباحث محمود إسماعيل، أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة عين شمس، عندما يحاول قراءة مستقبل الجماعات الدينية المتطرفة في العالم العربي. يرى محمود إسماعيل أن وجود التنظيمات الإرهابية في العالم العربي مستمر، ولن تنطفئ كما يتصور البعض. وهو يقول صراحة إن زمن جماعة الإخوان، وتنظيم القاعدة، وتنظيم داعش، وغيرها لم ينقضى، ويريد فكره قائلا "لا تحسبوا أن هزيمة داعش تعني أقول زمن التنظيمات الإرهابية، فهي متحورة ومتجددة وقادرة على التمدد ما دام المناخ المحيط يتيح لها النمو والتجدد".

وجاءت صحيفة التحذير التي أطلقها إسماعيل في حوار مع "العرب" بعد توقيفه عن الكتابة لنحو ثلاث سنوات، بسبب ظروف مرضه العضوي، وضعف بصره، غير أن ذهنه المقتد يدفعه إلى الحديث بوعي وسلاسة وحماس تناسب شابا في الثلاثين. ويقول إنه يؤمن بضرورة قطع الطريق على الحركات الإرهابية من التمدد من خلال إطلاق الحريات وتوسيع نطاق المشاركة السياسية ومعالجة الخلل الاقتصادي والاجتماعي بالبلدان العربية التي شهدت ثورات تغيير.

تنظيم الإخوان المسلمين غير قابل للاستيعاب لأنه مراوغ ويمثل أكثر التنظيمات الدينية تلونا وكفرا بالوطن

محمود إسماعيل له أكثر من خمسين مؤلفا أبرزها: "هل انتهت أسطورة ابن خلدون" و"المهمشون في التاريخ الإسلامي" و"المهمشون في التاريخ الأوروبي" و"الحركات السرية في الإسلام". إلى جانب "سوسولوجيا الفكر الإسلامي" جزأيه "طور الزدهار

## تفشي الإساءات الجنسية بحق الأطفال في المدارس الدينية في تركيا

أو مناقشة هذه الحوادث في البرلمان، ولا شك أن أي وسيلة إعلام حرة ستطالب بالإساءة الجنسية بحق ذكر عام 2013. ووصلت القضية إلى المحكمة في نوفمبر عام 2017، لكن السلطات فرضت مرة أخرى حظرا على النشر في القضية. ووقع أحد أكثر حوادث الإساءة قسوة في مقر إقامة في كرامان بوسط إقليم أناتوليا.

واتهم معلم عمره 54 عاما وعضو بارز في مؤسسة الأنصار الإسلامية باغتصاب عشرة من تلاميذ المدرسة الثانوية، والإساءة الجنسية إليهم في مقر الإقامة الداخلي. ووفقا للائحة الاتهام، فإن الاعتداءات وقعت بين عامي 2012 و2016. وقال الضحايا إن أعمارهم كانت تتراوح بين العاشرة والثانية عشرة حين تعرضوا للتحرش للمرة الأولى، مثلما أوردت هيئة الإذاعة البريطانية (بي.بي.سي). لكن المؤسسة، التي تعرف بصلاتها الوثيقة بأردوغان وحكومة حزب العدالة والتنمية، لا تزال تحجب منذ ذلك الحين على عقود كبيرة من الحكومة للتدريس لتلاميذ المدرسة، كما تحصل المؤسسة أيضا على تمويل سخى من البلديات. في الوقت نفسه، يحظر حزب العدالة والتنمية الحاكم ظهور أي تقارير إعلامية

52 عاما متهما بالإساءة الجنسية لثلاث طالبات في مدرسة صيفية لتعليم القرآن، في إقليم بارتين بشمال البلاد. وفي الشهر الماضي، أوردت وسائل إعلام تركية أن إماما في مسجد أفيون في غرب تركيا قد تحرش بتلميذتين في السابعة والتاسعة من العمر. ومرة أخرى كان رد الفعل من قبل الحكومة هو فرض حظر على نشر أي معلومات عن هذا الحادث.

ضمن سلسلة طويلة من حوادث الإساءة الجنسية التي تكتسفت في مؤسسات مماثلة، ومرة أخرى، تتعامل الحكومة مع هذه الفضائح من خلال محاولة إخفائها ومنع الكشف عنها. وشهدت مدرسة فنية عليا اغتصاب معلم لفتاة في السابعة عشرة من العمر. وتحديث الضحية عام 2014، لكن السلطات فرضت حظرا على النشر. وفي يوليو عام 2015، اعتقل إمام عمره

برزت أحدث هذه الفضائح في وقت سابق هذا الشهر في مؤسسة دير الفقيه الدينية في منطقة العمريه بإسطنبول، حيث وجهت لثلاثة معلمين اتهامات بالإساءة الجنسية لأكثر من 20 من الطلبة.

مسعود آتاي، وهو أستاذ علم نفس الأطفال في جامعة أوكان في إسطنبول، قال إن النظام في هذه المدارس قد خذل الأطفال بعد أن نقل إليهم كيفية الحكم الأخلاقي على الناس بناء على عوامل ظاهريّة ذات صلة بالدين، ومن بنينا مواظبة الشخص على الصلاة. ويقول آتاي إن الأطفال يحضرون دروسا إلزامية عن الإسلام في سن لا يحتاجون فيها بالضرورة لامتلاك القدرة على فهم مفاهيم معقدة، مضيفا أن الأطفال سيحصلون على ما هو أفضل إن تلقوا تعليما دينيا داخل نطاق الأسرة. لكن بدلا من ذلك يتلقى الأطفال ذلك في المدرسة، وأظهرت تقارير إعلامية في السنوات الأخيرة كيف يتربص بهم معلمون خلت قلوبهم من الرحمة. وحالة مدرسة دير الفقيه هي أحدث مثال

تكتسفت خلال الفترة الماضية سلسلة من فضائح الإساءات الجنسية داخل المدارس الدينية في تركيا، لكن وبسبب صلات تلك المدارس بحزب الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، يتم التستر على جرائمها.

كثرت المدارس التركية التي تُعنى بتدريس مناهج إسلامية مثل مدارس الإمام الخطيب التي تديرها الدولة طيلة السنوات السبع عشرة التي حكم فيها حزب العدالة والتنمية البلاد، وهو الذي سعى إلى تاصيل قيم دينية في الشباب التركي، وعمل على تمويل سيل من المؤسسات الإسلامية في القطاع التعليمي. ولطالما تحدث الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، الذي سطع اسمه في تسعينات القرن العشرين في إطار صعود الحركة الإسلامية، عن هدفه لتخشئة "جيل متدين". وأدى هذا إلى زيادة هائلة في عدد مدارس الإمام الخطيب، وكذلك زيادة في عدد ساعات التعليم الديني لجميع الطلبة. ويضطلع بتدريس المناهج الدينية عادة موظفون من المؤسسات الدينية التي توفر أماكن لإقامة أطفال المدارس، وهي أماكن أصبحت مساحة للعديد من فضائح الإساءة الجنسية.



مدارس دينية بغطاء سياسي